

ماذا يعني مصطلح العبريَّة؟

تأليف:
ديريك آر جي بيتي و فيليب ر. ديفيز

ترجمة:
عبد الكريم الوظّاف

2024

www.mominoun.com

- **ترجمة**
- **قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية**
- 16 فبراير 2024

ماذا يعني مصطلح العبريَّة؟

تأليف: **ديريك آر جي بيتي** و **فيليب ر. ديفيز**
ترجمة: **عبد الكريم محمد عبد الله الوظّاف**

مُقدمة المُترجم

صدرت هذه المقالة، والموسوم بـ «What Does Hebrew Mean?»، في مجلة الدراسات الساميَّة *Journal of Semitic Studies*"»، في المجلد 56، العدد الأول، الصادر في ربيع 2022، من الصفحة 71-83، والصادرة عن أكاديميَّة أكسفورد Oxford_Academic.

وتستند هذه الورقة، جزئيًا، إلى المحاضرة السنويَّة التاسعة للدراسات الساميَّة، التي ألقاها دي. أر. جي. بيتي D.R.G. Beattie إلى معهد الدراسات البيزنطيَّة Institute of Byzantine Studies، جامعة كوينز، بلفاست، مايو 2007.

والدكتور ديريك آر جي بيتي (... -3 أغسطس 2019): درس اللغات العبريَّة والساميَّة (الشرقيَّة سابقًا) في كلية ترينيتي Trinity College في دبلن، ثم هاجر إلى سانت أندروز، حيث حصل على درجة الدكتوراه. وبعد فترةٍ وجيزةٍ كمحاضر في جامعة أبردين؛ تم تعيينه في منصب محاضر في الدراسات الساميَّة في جامعة كوينز بلفاست Queen's University Belfast عام، 1973 وكان رئيسًا لقسم الدراسات الساميَّة من عام 1985 حتى استيعابه في الكلية الدراسات اليونانيَّة والرومانيَّة والساميَّة.

أما الدكتور فيليب ر. ديفيز (1945–2018)، فهو عالم بريطانيّ في الكتاب المقدس. وكان أستاذًا فخريًا للدراسات التوراتيَّة في جامعة شيفيلد The University of Sheffield بإنجلترا. وفي أواخر تسعينيات القرن الماضي، كان مديرًا لمركز دراسة مخطوطات البحر الميت. وكان، أيضًا، الناشر ومدير تحرير لمجلة مطبوعات شيفيلد الأكاديميَّة Sheffield Academic Press.

تتناول هذه المقالة دراسة مصطلح العبريَّة، وماذا يعني، وهل هو مصطلح دينيّ أم جغرافيّ أم لغويّ. ويخلص الكاتبان إلى أنه لا يُوجد ما يُسمى باللغة العبريَّة (فيما فهمتُ من هذه المقالة)، وأن اليهود وبني إسرائيل كانوا يتكلمون عدة لغات، من بينها الآرامية، وهي ما أطلق عليها العبريَّة فيما بعد، وأن العبريَّة هي مصطلح أُطلق على من عبر النهر، نهر الفرات أو نهر الأردن.

تنويهٌ للقارئ:

أولًا: وضع المؤلفان تعلقيهما بين معقوفتين [ ]؛ لذا ما كان مِن تعليقٍ مني أو إِضافة أو تصويبٍ، في المتن أو الهامش؛ فقد وضعتْه بين حاضرتين { }. كذلك ما تطلب مني شرحًا لبعض المصطلحات؛ فقد جعلته في هامش بشكل نجمة (*).

ثانيًا: فيما يتعلق بترجمة نصوص الكتاب المُقدس؛ فقد أتيتُ بها، حسب ما يفهما القارئ العربيّ، وإن كان حرفيَّة، حسب ما جاء في موقع الأنبا تكلاهيمانوت القبطيّ الأرثوذكسيّ https: //st-takla.org.

ثالثًا: ما ورد من أسماء لأعلام أجانب، لأول مرة في ثنايا هذا العمل؛ فقد ذكرتُ الاسم باللغة العربيَّة (الشكل الصوتي للاسم)، ثم أعقبته بذكر اسمه كما هو باللغة الأجنبيَّة، وإذا تكرر ذكر اسمه فيما بعد، فقد اكتفيتُ بذكر الاسم بالرسم الصوتي بالعربيَّة.

رابعًا: قُمتُ بصنع قائمة المصادر والمراجع.

وأخيرًا...عند ذكر مصادر الكتاب، باللغة الأجنبيَّة، في الهامش، فإذا كانت مصادر عربيَّةٍ، فقد أتيتُ بتعريفها باللغة العربيَّة، وما كان باللغة الأجنبيَّة، فقد ترجمت اسم المؤلف وعنوان الكتاب أو البحث أو المقال الرئيس باللغة العربيَّة، ثم أتبعته بذكر معلوماته، كما جاءت في أصل هذا العمل.

ملخص:

في العهد الجديد، هناك عدة إشاراتٍ إلى لغةٍ تُسمى العبريَّة، والتي يُمكن أن تعني الآراميَّة، فحسب. لكن من هم «العبرانيون»، خاصةً فيما يتعلق بـ «بني اسرائيل» و«اليهود»؟ نقترح أن الفشل من جانب غير اليهود، الذين لا يتحدثون الآراميَّة، أدى إلى التعريف الخاطئ للآراميَّة على أنها اللغة «اليهوديَّة» (المعروفة آنذاك باسم «العبريَّة»)، وبالتالي لليهود باسم «العبرانيين». لا الكتاب المُقدس ولا التراث الحاخاميّ (بشكلٍ كبيرٍ) يُحدد اللغة العبريَّة المعروفة الآن بهذا الاسم، ولكن الكتاب المُقدس اليهوديّ يذكر العبرانيين، الذين غالبًا ما يتم تحديدهم في الدراسات العلميَّة الحديثة على أنهم من بني اسرائيل القُدامى. ومع ذلك، فإن التسمية تعني، على الأرجح، سكان المنطقة المعروفة منذ العصر الآشوريّ الجديد باسم «ما وراء النهر»، عبر الفرات، وأن الآراميَّة تعني عَبَرَ نهارا *abar nahara’*، ومن هنا يُشير الاسم المختصر «عبري» أو «العابر». تم استيعاب العديد من هؤلاء، الذين يتحدثون باللغة الآراميَّة ويلتفون حول «العبرانيين»، في المملكة الحشمونيَّة، وبالتالي أصبحوا يُعرفون، أيضًا، باسم «يهودا/اليهود»، بينما كان بنو اسرائيل (السامريون) واليهود، على حدٍ سواء، جزءًا من السكان «العبريين» العابرين للفرات. يعترف الكتاب المُقدس بسلف هذه العرقيَّة في إبراهيم، الذي وُعد بنسله بإقليم عبر نهر الفرات. متى، إذن، تم اعتماد «العبريَّة»، بشكلٍ عام، كاسمٍ للغة الكتاب المُقدس؟ من الصعب قول هذا، لكن ربما كان ذلك مؤخرًا في القرن التاسع عشر.

في العهد الجديد، هناك العديد من الإشارات إلى لغةٍ تُسمى العبريَّة. يُقال إن بولس (مرتين في آية واحدة[1]) تحدث بالعبريَّة - كما فعل الصوت الذي خاطبه في الطريق إلى دمشق[2] - لكن الكلمات الوحيدة التي تم حفظها في كلتا الحالتين هي باللغة اليونانيَّة. أخبرنا كلٌ من لوقا[3] ويوحنا[4] أن السقف فوق الصليب كان مكتوبًا باليونانيَّة واللاتينيَّة والعبريَّة، ولكن مرةً أخرى يتم تقديم المحتوى باللغة اليونانيَّة، فحسب. ثلاثة أسماء أماكن - بيثيسدا Bethesda[5]، وجاباثا Gabbatha[6]، وجلجثة Golgotha[7] - تم تحديدها في انجيل يوحنا على أنها عبريَّة، ولكن الثلاثة، كلها، لها شكلٌ آراميٌّ واضح. فالعبريَّة، بالنسبة إلى جلجثة؛ ليست golgotha، بل gulgoleth؛ وفي الآراميَّة هي gulgoltha، وهو ما يُفترض أن يستشهد به الإنجيل. وجباثا، إذا اشتقت، كما يبدو، من ביתא גב، المنزل (المعبد) التي لها أصلٌ آراميٌّ حقيقيٌّ؛ فالمعادل لها بالعبريَّة سيكون גב הבית، ولكن المنطقة المعروفة، حتى يومنا هذا، بالعبريَّة باسم הבית הר أو جبل الهيكل يُمكن أن تكون

1 سفر أعمال الرسل، الأصحاح 21، الآية 40، والأصحاح 22، الآية 2

2 سفر أعمال الرسل، الأصحاح 26، الآية 14

3 إنجيل لوقا، الأصحاح 23، الآية 38

4 إنجيل يوحنا، الأصحاح 19، الآية 20

5 إنجيل يوحنا، الأصحاح 5، الآية 2

6 إنجيل يوحنا، الأصحاح 19، الآية 13

7 إنجيل يوحنا، الأصحاح 19، الآية 17

بيت حسدا، إما عبريَّة أو آراميَّة؛ مهما كان أصل حسدا esda (على الأرجح Ìsd، رحمة)؛ فإن النهاية تعكس إنهاءً آراميًا مؤكدًا مثل المثالين الآخرين.

إلى جانب هذه الإشارات، هناك ثلاث كلمات قالها عيسى المسيح، والمحفوظة في الترجمة اليونانيَّة. وفي حالتين منهما، ταλιθα κουμι، «يا صبية، قومي»؛ فالكلمات التي قيلت على ابنة جايروس Jairus الميتة[8]، والصرخة على الصليب، ελωι ελωι λαμα σαβαχθανει: «إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟»[9]؛ من الواضح أنها لغة آراميَّة. وفي الحالة الثالثة εφφαθα، حدث بعض الفساد، فالذي قيل إنه يعني «انفتح»، عندما يُوجه إلى الرجل الأصم الذي يُعاني من إعاقةٍ في الكلام[10]؛ فيمكن اعتبارها لغةً آراميَّة، بسهولةٍ، أكبر من كونها اللغة العبريَّة.

تُشكل هاتان المجموعتان من البيانات، شكل أسماء الأماكن التي يُقال إنها عبريَّة واللغة التي تحدث بها عيسى، الدليل على الاستنتاج الذي تم التوصل إليه، بالفعل، في القرن التاسع عشر: إن اللغة المسماة العبريَّة في العهد الجديد هي في الحقيقة الآراميَّة. في القرن التاسع عشر، بطبيعة الحال، ما نسميه، الآن، الآراميَّة؛ كان يُسمى في الواقع السريانيَّة-الكلديَّة، ويُعتقد أنها مزيجٌ من الآراميَّة التوراتيَّة، والتي كانت تُسمى آنذاك الكلديَّة[11] والسريانيَّة البسيطة. وفي الواقع، من الجدير بالذكر، أن الكلمة اليونانيَّة εβραιος هي، على الأرجح، من الكلمة الآرامية עברא العبريَّة أكثر مما هي من الكلمة العبرانيَّة עברי.

لكن كلمة عبرانيَّة لا تقتصر، في العهد الجديد، على لغة. وفي إحدى المرات التي استخدمها بولس عندما وصف نفسه بأنه «عبرانيٌّ من العبرانيين»[12]. وهذا استخدامٌ ملفتٌ للنظر، إلى حدٍّ ما، وفريدٌ من نوعه في العهد الجديد. ربما كنا نتوقع «يهوديٌّ»، وهي التسمية المعتادة لبولس[13]. ومع ذلك، يُصنَّف بولس على أنه يُسمي نفسه يهوديًّا، بشكلٍ مباشرٍ، وذلك في أعمال الرسل، الآية 39 من الأصحاح 21، فقط. وتصريحه الخاص «فصرتُ.. كيهوديّ»[14]، هو أقل من تسميةٍ ذاتيَّة: قد يكون حتى إنكارًا لذلك. وفي رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس، الأصحاح 11، الآية 22، يتجنب بولس، مرةً أخرى، تسمية «يهوديّ»، مُعلنًا أنه «عبرانيّ، إسرائيليّ، من نسل إبراهيم»، بينما كان في الرسالة إلى روميَّة، الأصحاح 11، الآية 1، أنه «إسرائيليّ من نسل

---

8 إنجيل مرقس، الأصحاح 5، الآية 41

9 إنجيل مرقس، الأصحاح 15، الآية 34. ولدى إنجيل متى: الأصحاح 27، الآية 46، بديلٌ مماثلηλει ηλει λεμα σαβαχθανει.

10 إنجيل مرقس، الأصحاح 7، الآية 34

11 إن إعطاء هذا الاسم للغةٍ تسمى الآراميَّة (ארמית) في الكتاب المُقدس، لمجرد أن الكلدانيين ذُكروا في إحدى المرات (سفر دانيال: الأصحاح 2، الآية 4)؛ يجب أن يصنف كواحدٍ من أغرب إنجازات الدراسات العلميَّة التوراتيَّة.

12 رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي: الأصحاح 3، الآية 5

13 رسالة بولس إلى أهل روميَّة، الأصحاح 1، الآية 16، والأصحاح 2، الآيات 9-10، 17، 28-29، والأصحاح 3، الآية 1، والأصحاح 10، من الآية 12؛ ورسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطيَّة، الأصحاح 2، الآية 14، والأصحاح 3، الآية 28؛ ورسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي، الأصحاح 3، الآية 11

14 رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس، الأصحاح 9، الآية 20

إبراهيم من سبط بنيامين» - مشابهٌ جدًا للوصف الكامل في رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي، الأصحاح 3، الآية 5، في الواقع: «من جهة الختان: مختونٌ في اليوم الثامن، من جنس إسرائيل: من سبط بنيامين، عبرانيٌّ من العبرانيين. من جهة الناموس: فريسيّ». هل كل هذه المصطلحات مترادفة، أم أنها تنقل هوياتٍ مُختلفةٌ، إذا كانت مُتداخلة؟ يبدو أنها تُعبر عن مجموعةٍ من التصنيفات متحدة المركز، وإن لم يكن بترتيبٍ منطقيٍّ: نسل إبراهيم هو الأكبر وبنيامين الأصغر، مع وجود إسرائيل بينهما. فما هو موقع الفريسيّ والعبرانيّ فيما يتعلق بهذه المجموعة؟ يُشير أولهما، كما نعلم، إلى عضويَّة مذهبٍ دينيٍّ داخل بني إسرائيل، بينما يُشير الآخر إلى إشكاليَّةٍ أكبر. فمن الواضح أنها ليست كبني إسرائيل. وكما سبقتْ الإشارة، فإن العبريَّة في العهد الجديد تُحدد، في الغالب، كلغة، ونقترح أنها تفعل ذلك، هنا، أيضًا، على الأقل جزئيًا: فهي تُحدد عضوًا في مجتمعٍ لغويٍّ أو مجموعةٍ سكانيَّةٍ. والعبريَّة، كما نرى، هي متحدثٌ باللغة التي تُسمى العبريَّة في العهد الجديد، وهي الآراميَّة. وتُبين سفر أعمال الرسل، الأصحاح 6، الآية 1، إلى أهميَّة الهويَّة اللغويَّة داخل اليهوديَّة، والتي تُشير إلى تصاعد الخلاف في المجتمع المسيحيّ النامي «بين أولئك الذين يتحدثون اليونانيَّة والذين يتكلموا بلغة اليهود τῶν ελληνιστῶν πρὸς τοὺς εβραίους». فلا يوجد سببٌ لافتراض أن لكلمات بولس معنىً مُختلفًا عن أي مقطعٍ آخرٍ من العهد الجديد. لذلك، فهو يُعرِّف نفسه لأهل فيلبي باعتباره متحدثًا باللغة الآراميَّة من عائلةٍ ناطقةٍ باللغة الآراميَّة.

من هذا الاستخدام للغة العبريَّة، نقترح طور ما كان سيُصبح ممارسةً واسعة النطاق وطويلة الأمد؛ فمن ناحيةٍ، جاء اسم اللغة، التي يتحدث بها اليهود (الآراميَّة)، في مرحلةٍ ما لتعيين اللغة (المُختلفة) التي كُتبت بها النصوص اليهوديَّة وكذلك الأشكال اللاحقة من الناحية الزمنيَّة لتلك اللغة. ومن ناحيةٍ أخرى، أصبحت الصفة العبريَّة، في اللغات الأوروبيَّة، للناطقين غير اليهود بهذه اللغات، بديلًا لليهود. ومن الضروري، لهذه التطورات، استخدام لغةٍ ثالثةٍ (اليونانيَّة)، حيث إن المتحدثين بلغةٍ ثالثةٍ هم الذين لن يُدركوا أن ما نُسميه، الآن، العبريَّة والآراميَّة كانتا مُختلفين، وأن العبريَّة لا تعني اليهوديَّة.

ومن هنا، ففي التلمود، في سياق مناقشة ما إذا كان ينبغي إنقاذ الكتابات المُقدسة من حريق يوم السبت؛ يتم إبداء رأيٍ وحيد على النحو الآتي: «إذا كانت مكتوبةً باللغة المصريَّة أو الميديَّة[15(*)] أو עברית أو اليونانيَّة، على الرغم من أنها قد لا يتم قراءتها؛ فقد يتم إنقاذها من الحريق»[16]. يكمن اهتمامنا، هنا، بطبيعة الحال، في كلمة עברית، والتي عادةً ما نفهمها (أي في مكانٍ آخر) على أنها تعني العبريَّة، ولكن من الواضح أن هذا لا يُمكن أن يكون هو الحال هنا. إن ما يُسميه الكتب المُقدسة العبريَّة، والتي تُقرأ علنًا في خدمة الكنيس؛ ينبغي إنقاذها، عند الضرورة، من النار، ولا يُحتاج هذا الأمر إلى نقاش. لذلك، فيُترجم تلمود سونسينو Soncino Talmud עברית، هنا، على أنها «آراميّ عابر [فرات]»، وهي ترجمةٌ مزدوجةٌ. إنه يُسميها الآراميَّة؛ لتوضيح

15(*) اللغة الميديَّة كانت لغة الميديين، وهي: لغة إيرانيَّة قديمة؛ تُصنف تصنيف فرع اللغات الإيرانيَّة الشماليَّة الغربيَّة الذي يضم لغات أخرى كثيرة، مثل اللغات الكيلكيَّة والمازندرانيَّة والكرديَّة والبلوشيَّة. المترجم.

16 السبت: 115 أ.

أنها ليست عبريَّة، بينما المصطلح «عبر [الفرات]»، بشكلٍ صحيح (في رأينا، كما سنناقش)؛ يوفر أصل الكلمة. ولكن الجانب الأكثر أهميَّةً، في هذه الملاحظة، هو شهادته أنه، في وقت المناقشة وتسجيلها؛ لم تكن لغة الكتاب المُقدس العبريّ ولا لغة النقاش التلموديّ تُدعى بالعبريَّة. وقد ذُكرت الآرامية، قبل ذلك بقليل في المناقشة، بوصفها «اللغة المُقدسة» (הקדש לשון)؛ في حين أن تسمية العبريَّة لا نعرفه في الوقت الحاضر[17].

قبل التفكير في استخدام الكتاب المُقدس العبريّ، لنتأمل في المشناه. هنا نجد، مرةً أخرى، إشاراتٍ إلى العبريَّة التوراتيَّة باعتبارها «اللغة المُقدسة»[18]؛ وتحدث هذه الإشارات فيما يتعلق بطقوسٍ مُعيَّنةٍ؛ يجب أن تُودى بـ «اللغة المُقدسة»، والسبب هو ذلك؛ لأن النص التوراتيّ، يقول: «أنتَ/هو/هي يقولون...» هي الكلمات الفعليَّة المُستخدمة هناك هي الكلمات المناسبة. وفي أماكن أخرى من المشناه، يتم ذكر العبريَّة واليونانيَّة، أيضًا، كلغاتٍ، بمصطلحاتٍ لا تختلف عن استخدام العهد الجديد، فيما يتعلق بأحكام الطلاق[19]. وعلى أي حال، فإن التباين مع اليونانيَّة يُشير إلى أن الأبجديَّة المستخدمة هي المهمة، فقد تكون עברית آراميَّة، بسهولة، كالعبريَّة. وفي هذه المرحلة من تحقيقنا، فمن المستحيل تحديد أيهما أكثر احتمالًا، فعلى الرغم من أننا نتعامل مع الاستخدام الدنيويّ، إلا أن الآراميَّة هي الأكثر احتمالًا. ومع ذلك، هناك مقطعُ وحد يجب أن تُعني فيه עברית اللغة العبريَّة (التوراتيَّة). فوفقًا لمنشاه يدايم {تطهير الأيدي}: الفصل الرابع، مشنا 5: «الأقسام الآرامية targum في عزرا ودانيال تجعل اليدين نجستين. إذا تمت ترجمته [هذا النص] بالآراميَّة، أو الكتاب العبريّ، فإنه لا يجعل اليدين نجستين». يجب أن يُشير التباين الذي ظهر في هذا المقطع بين «targum» (الآراميَّة) و«ʿivrit»؛ إلى أن الأخير يعني العبريَّة، ولكن هناك تمييزٌ بين العبريَّة وtargum (الآراميَّة) كلغتين ونصين. ومِن ثَم، فإن نسخة من عزرا أو دانيال التي كُتب فيها الجزء الآراميّ أو العبريّ (أي العبرانيّ القديم) لا تنجس اليدين؛ يجب أن يستخدم كلاهما الآراميَّة أو الأشوريَّة (אשורית)[20]، أو الأحرف المربعة. تم وضع تشريع مُسبق مُشابهٌ، فيما يتعلق بلفائف إستير، في مجلاه {لفافة التوراة}. ومع ذلك، في مجلاه {لفافة التوراة}: الفصل الثاني، مشنا 1، لا تُوجد لغة، ولا حتى הקדש לשון مُحددة للفافة. ويكاد يبدو، هنا، أن אשורית (الأشوريَّة) هي اسم اللغة المناسب[21].

---

17 يُطلق الكاتب اليهوديّ لسفر المكابيين الثاني على الآراميَّة «السريانيَّة» - اللغة التي يتحدث بها سكان ما عَرف اليونانيون بـ «سوريا» (سفر المكابيين الثاني، الأصحاح 15، الآية 36)، ولكن هذا، بالكاد، يُخبرنا بما أسماه اليهود الناطقين باللغة الآراميَّة.

18 مشناه يدايم {تطهير الأيدي}، الفصل 12، مشنا 6؛ مشناه سوطاه {المرأة المُتهمة بالزنا}، الفصل 7، مشنا 2، 3؛ 4؛ والفصل 8، مشنا 1؛ والفصل 9، مشنا 1

19 مشناه جيطين {الطلاق}، الفصل 9، مشنا 6، 8

20 ربما يعكس الاسم الآشوري إدخاله إلى الغرب مِن قِبل الآشوريين إلى جانب اللغة الآراميَّة.

21 يوسع الجمارا، في شرحه لمجلاه {لفافة التوراة}، الفصل 2، مشنا 1، العبارة: «إذا قرأها... في أي لغةٍ أخرى؛ لم يف بالتزامه»، باستخدام قائمة اللغات الخمس الموجودة نفسها في مشناه السبت. ولكن بترتيب مختلف قليلًا عن: «إذا قرأها باللغة القبطيَّة أو العبريَّة أو العيلاميَّة أو المديَّة أو اليونانيَّة؛ فإنه لم يف بالتزامه»؛ في حين أن القاعدة «يمكن قراءتها بلغةٍ أجنبيَّةٍ لأولئك الذين يتحدثون لغةً أجنبيَّةٍ» يتم توسيعها إلى «القبطيَّة إلى الأقباط، أو العبريَّة إلى العبرانيين، أو العيلاميَّة إلى العيلاميين، أو اليونانيَّة إلى اليونانيين»، ومن المفترض أن يكون أسقاط «من الميديَّة إلى المديين» عرضيًا. (مشناه مجلا، 18 أ)

إن أهم عنصر في مقاطع المشناه هو استخدام עברית في إشارة إلى الكتاب المُقدس، حتى لو كان مرةً وحيدةً، لكن هذا موجودٌ في وثيقةٍ مؤرخةٍ بعد أكثر من قرن من كتابات بولس والأناجيل. ربما يكون من المهم، أيضًا، أن تكون كلمة *targum*، والتي تعني الترجمة بشكلٍ صحيح؛ يجب استخدامها، في هذا المقطع، لتعني الآراميَّة، في حين هي كلمة ארמית التي تظهر في نص دانيال وعزرا في بداية الأقسام الآراميَّة. قد يوفر استخدام المشناه، هذا، دليلًا على الوقت الذي ظهرت فيه العبريَّة كاسمٍ لـ «اللغة المُقدسة».

ويُمكننا أن ننتقل الآن إلى الكتاب المُقدس العبريّ، حيث ترد كلمة العبريَّة في 32 مكانًا. والملاحظة الأكثر أهميَّة هي أنها لا تُشير أبدًا إلى أنها لغة. وفي المقطع المعروف في سفر الملوك الثاني، الأصحاح 18 (بالتوازي مع سفر إشعياء، الأصحاح 36)، حيث يطلب مسؤولو الملك حزقيا، من مبعوثي ملك آشور، التحدث إليهم باللغة الآراميَّة بدلًا من العبريَّة؛ فإن الكلمة المُترجمة بالعبريَّة هي יהודית «اليهوديَّة». والملاحظة الثانية هي أن جميع الأحداث، تقريبًا، تقع في مجموعةٍ أو أخرى من مجموعتين. المجموعة الأصغر (خمسة تكرارات) تتعامل مع قانون العبد العبريّ. يجب إطلاق سراح العبد العبريّ بعد ست سنواتٍ من الخدمة، وفقًا لسفر الخروج، الأصحاح 21، الآية 2؛ عندما تُقرأ جنبًا إلى جنبٍ مع سفر اللاويين، الأصحاح 25، الآية 25، («إذا افتقر أخوك وباع نفسه لك؛ فلن تجعله عبدًا»)؛ يتضح أن العبريَّة ليست مثل بني اسرائيل. وفي المجموعة الأكبر من الوقائع (خمسة وعشرون تكرارًا) فالعبريَّة هي مصطلحٌ يُستخدم إما مِن قِبل الأجانب للإشارة إلى بني اسرائيل أو اليهود، أو مِن قِبل بني اسرائيل واليهود عند التحدث إلى الأجانب عن أنفسهم. ويُمكن تقسيم هذه المجموعة إلى سياقٍ مصريٍّ وفلسطينيٍّ. يتبنى الأول قصص يوسف والفصول الأولى من الخروج، ويُمكن القول إن هناك منطقًا مُعيَّنًا في جعل المصريين يُعرِّفون الجيل الأول من بني إسرائيل باسمٍ آخر. وفي السياق الفلسطينيّ للمعارك المُسجلة في سفر صموئيل الأول في عهد شاول؛ قد يُقال، بطريقةٍ مُماثِلة، إن الفلسطينيين يستخدمون المصطلح العبريّ لحجب الاعتراف بمملكة شاول. ولكن هناك تفسيرٌ آخرٌ ممكن، أيضًا، وهو أن العبريَّة، في كلا المجموعتين، يُمكن تمييزها عن بني اسرائيل. وفي أحد المقاطع، يكون هذا التمييز واضحًا تمامًا، على الرغم من وجود تعديلٍ طفيفٍ في تقسيم الكلمات: «العبرانيون الذين كانوا مع الفلسطينيين منذ أمس وما قبله، الذين صعدوا معهم إلى المحلة من حواليهم، صاروا هم، أيضًا، مع إسرائيل الذين مع شاول ويوناثان»[22]. وقبل ذلك بقليل[23]، في مقطعٍ آخر، وهو عبارة، كذلك، عن سردٍ وليس بكلام، تم تسجيل أن العبريين عبروا الأردن في/ من، إلى (لا يوجد حرفُ جرٍ في النص العبريّ) أرض جاد جلعاد، وقد اقترح غوتوالد Gottwald[24] أن هذا إشارة إلى انضمام حبيرو ḥabiru إلى المعركة.

---

22 سفر صموئيل الأول، الأصحاح 14، الآية 21

23 سفر صموئيل الأول، الأصحاح 13، الآية 7

24 نورمان كارول غوتوالد، قبائل يهوه: علم اجتماع دين اسرائيل المحررة، Norman K. Gottwald, *The Tribes of Yahweh: A Sociology of the Religion of Liberated Israel, 1250-1050 B.C.E.* (Maryknoll, N.Y. 1979), 423

ومن وجهة نظرنا، فإن العلاقة بين حبيرو العبريَّة، التي استشهد بها غوتوالد (والعديد من العلماء الآخرين) خاطئةً، فتصف الكلمة الأكاديَّة حبيرو أو أبيرو apiru' مجموعةً أو فئةً من الناس الذين يظهرون في أوقاتٍ مُختلفةٍ طوال الألفيَّة الثانية قبل الميلاد، وفي أجزاءٍ مُختلفةٍ من الهلال الخصيب وبلاد ما بين النهرين. ويبدو أنهم يستأجرون أنفسهم، في أوقات الحرب، كمرتزقةٍ. وفي أوقات السلم، سوف يلصقون أنفسهم بأربابهم الأثرياء أو حتى يدخلون في العبوديَّة الطوعيَّة. وتم العثور على المصطلح، لأول مرةٍ، في رسائل تل العمارنة (القرن الرابع عشر قبل الميلاد). وحتى وقتٍ قريبٍ، كان العديد من العلماء يُؤكدون أنه يجب مساواة هؤلاء مع العبرانيين التوراتيين، ولكن هذا الرأي فقد الدعم مؤخرًا. إن أحد الأسباب هو أن كلا النصين المصريّ والأوغاريتيّ يُفضلان صيغة أبيرو apiru' بدلًا من حبيرو ḫabiru؛ على الرغم من أن التهجئة ليست حاسمةً. وسبب آخر هو أنه لا يوجد ذكر أبيرو/حبيرو بعد حوالي 1000 قبل الميلاد، وإذا استمر المصطلح، بطريقةٍ ما، في بني إسرائيل أو يهوذا؛ فمن غير الواضح إلى أي نوعٍ من الأشخاص تم أخذ للإشارة إليهم بعد ذلك - بل والأكثر غموضًا: لماذا يجب أن يكون تم استخدامها من بني إسرائيل (واليهود؟). إن الاقتراح القائل إن بني اسرائيل نشأوا تأريخيًا باسم أبيرو؛ أصبح أكثر احتمالًا في عمليات إعادة التقييم الأخيرة لأصول بني إسرائيل، والتي تتبع السكان الأساسيين لبني إسرائيل إلى القرى الزراعيَّة في المرتفعات[25].

وهناك مثالان توراتيان آخران عن استخدام العبريَّة؛ يتطلبان اهتمامًا خاصًا: يونس وإبراهيم. يعرّف يونس نفسه للبحارة بقوله «أنا عبرانيّ» (انجيل يونان، الأصحاح1، الآية 9)، بينما يُوصف إبراهيم، في مناسبةٍ واحدة فقط، بأنه «أبرام العبرانيّ» (سفر التكوين، الأصحاح 14، الآية 13). ومن الواضح، هنا، أنه لا يُمكن فهمه، حتى من قِبل المُؤلِّف التوراتيّ، كمرادفٍ للإسرائيليّ (على النقيض من ذلك، يُمكن تسمية إبراهيم بأنه يهوديّ؛ عندما يكون المصطلح قد اكتسب تسميةً دينيَّةً بدلًا من التسمية العرقيَّة). ونقترح، إذن، أنه طوال الفترة التي كُتبت فيها نصوص النصوص التوراتيَّة، كان للعبريَّة معنىً يشمل بني إسرائيل، ولكن لم يكن مرادفًا لهم. وعلى الرغم من أن وصف يونس الذاتيّ موجه إلى الأجانب؛ إلا أنه من غير الواضح، في هذا السياق، لماذا كان سيستخدمه إذا كان يقصد، ببساطةٍ إسرائيليًا؟ وهو ما الذي كان من المفترض أن يفهمه البحارة؟ ربما يجدر التفكير في أن المصطلح قد استُخدم في فترةٍ مُعيَّنةٍ لتعيين مجتمعٍ أو مجموعةٍ سكانيَّةٍ تضم كلًا من بني اسرائيل واليهوديين، والذين لم يُشكلوا، بالنسبة للغرباء، كيانًا واحدًا يُمكن التعرف عليه[26]، وهو مصطلحٌ يُمكن أن ينطبق عليه بنو اسرائيل أو اليهود أنفسهم، ولكنه ينطبق، كذلك، على آخرين. كيف يُمكن التعرف على هذه المجموعة أو توصيفها؟ الجواب، الأكثر وضوحًا، هو ما اقترحناه، بالفعل، في شأن الرسول بولس: إنه يُشير إلى مجتمع المتحدثين باللغة الآراميَّة الأصليين. لقد رأينا أنه بين اليهود في القرن الأول الميلاديّ، اختلف اليهود الآراميون واليهود الناطقون باليونانيَّة في أكثر من مجرد تفضيلاتٍ لغويَّةٍ بحتةٍ؛ لذلك فمن المعقول

25 إسرائيل فينكلستاين، علم آثار الاستيطان الإسرائيليّ، Israel Finkelstein, *The Archaeology of the Israelite Settlement* (Jerusalem 1988).

26 للاطلاع على الحجة القائلة بأن مصطلح «إسرائيل» تطور بعد 586 قبل الميلاد كتسميةٍ دينيَّةٍ لأبناء يعقوب اليهوديَّة والسامريَّة الذين عبدوا «إله يعقوب»؛ انظر: بي آر ديفيز، P.R. Davies, *The Origins of Biblical Israel* (London 2007).

اعتبار التمييز اجتماعيًا أو ثقافيًا. فهل يُمكن المجادلة أن المتحدثين الآراميَّة، بشكلٍ عام، كانوا، أيضًا، مجموعةً اجتماعيَّةً أو ثقافيَّةً؟ من الواضح أننا ندرس الفترة التي أعقبت زوال مملكتي إسرائيل ويهوذا، اللتين لم يتحدث سكانهما الآراميَّة كلغةٍ أولى. وتنطوي حجتنا على أن استخدام العبريَّة، في النصوص التوراتيَّة التي نوقشت أعلاه؛ يعكس استخدام فترة الهيكل الثاني.

ومع ذلك، يُمكن القول إن العبرانيين، الناطقين باللغة الآراميَّة، أصبحوا يَعتبرون أنفسهم، على النحو المحدد بأكثر من اللغة وحدها. إن أحد المؤشرات اللافتة للنظر في الكتاب المُدس هي شخصية عابر، حفيد سام، في سفر التكوين، الأصحاحين 10 و11. ولسوء الحظ، فإن المعلومات المُقدمة عنه مربكةٌ. ففي «قائمة الأمم» في الأصحاح 10، يجب أن يُمثل هو وذريته مجموعاتٍ عرقيَّةٍ أو اجتماعيَّةٍ ذات منطقة استيطانٍ مُعيَّنة. ولكن واحدًا، فقط، من أبنائه، يقطان، تم تعيينه من نسلٍ أو أراضٍ أخرى، ويبدو أنها تقع في منطقة الجزيرة العربيَّة. وعلى خلاف ذلك، فوفقًا للآية 21 {من سفر التكوين الأصحاح 10}؛ فإن سام هو «أبو كل بني عابر»، وهو بيانٌ له تأثير مساواة «العابريين» مع جميع المنحدرين من سام، ويتم اعتبار هؤلاء المتحدرين على أنهم سكان الجزء الشرقيّ من الهلال الخصيب من عيلام إلى آرام. والغريب على حد سواءٍ، أنه في الأصحاح 11 تم حذف يقطان بالكامل، في حين أن الابن الآخر، فالج، مؤثث، الآن، بخط النسب الذي يُؤدي إلى أبرام (الآيات 16-26). ومن الممكن (إذا كان الحل ضروريًا) التوفيق بين المعلومات المتضاربة في الأصحاحين بافتراض أن «أبناء عابر» قد انقسموا إلى فرعين، أحدهما يسكن الجزيرة العربيَّة، والآخر في الهلال الخصيب. وفي الواقع، ستتزامن المجموعتان معًا بشكلٍ وثيقٍ مع التعريف الحديث لـ «الساميَّة»، وتأييد البيان في الأصحاح 21، الآية 10، أن سام كان، في الواقع، أب «جميع أحفاد عابر».

ما يُثير الفضول في خط النسب من عابر إلى أبرام هو أنه في حين أن علم الأنساب يشمل الشعوب الواقعة شرق الفرات؛ فإن عائلة أبرام المباشرة، والأرض المُخصصة له، تنتمي إلى غرب النهر. فالفعل עבר يعني (من بين أشياء أخرى) الصليب، ويُمكن استخدام عابر، مسبقًا، ليعني المنطقة الواقعة خارج أو على الجانب الآخر من شيءٍ ما، عادةً ما يكون نهرًا. وهكذا في سفر التثنية، الأصحاح 1، الآية 1: «هذا هو الكلام الذي كلم به موسى جميع إسرائيل הירדן בעבר'»، بينما نقرأ في سفر يشوع، الأصحاح 24، الآيتان 2-3: «آباؤكم سكنوا في عبر النهر منذ الدهر הנהר בעבר... فأخذتُ إبراهيم أباكم من عبر النهر הנהר עבר'». يكاد يكون من المؤكد أن «النهر»، في هذا المقطع الثاني، هو نهر الفرات، وفي سفر التكوين، يعبر إبراهيم، بالفعل، النهر من الشرق إلى الغرب. ولكن مصطلح 'eber ha-nahar هو، أيضًا، التسمية الرسميَّة (بالأكاديَّة: eber-nari، وبالآراميَّة: abar nahara ‹) لإقليم مُحددٍ بوضوحٍ؛ تم تحديده أولًا في عهد الآشوريين، ومن المفترض أن يتبعه البابليون الجدد، ثم تم تحويله إلى وحدةٍ سياسيَّةٍ (إذا لم تكن كذلك بالفعل)، وكانت المرزبانيَّة[27(*)] (انضمت في البداية مع بابل، ثم انفصلت لاحقًا) تحت حكم الأخمينيين. وكانت «عبر النهر» موطنًا لمتحدثي اللغة الآراميَّة،

27(*) المرزبانيَّة: ولاية فارسيَّة.

وهي اللغة التي اعتمدها الآشوريون، أيضًا، في الجزء الغربيّ من إمبراطوريتهم، واستخدمها، أيضًا، خلفاؤهم الإمبراطوريون. إن الصلة الحيويَّة بين اسم «عبر النهر» واللغة الآراميَّة لسكانها؛ تُوفر المفتاح للاستخدام القديم لمصطلح العبريَّة للإشارة إلى الآراميَّة.

إن العلاقة بين eber ha-nahar’ والعبريَّة غير واردةٍ صراحةً في الكتاب المُقدس العبريّ. ولكن يبدو أنه تم الاعتراف به بطرقٍ خفيَّةٍ مُختلفة. فنجد إشارات إلى أسلاف يعيشون «وراء النهر» ويعبرون الأنهار في تحركهم نحو تحديد الذات: أولًا «بحر القصب» ثم نهر الأردن. وتبدو عبارة עברו ועברים، في سفر صموئيل الأول، الأصحاح 13، الآية 7، أكثر من مجرد تلاعبٍ بالألفاظ، ولكنها، بالأحرى، محاولةً لشرح أحدهما بالآخر، كما لو أنه يقول «العبرانيين (يُطلق عليهم هكذا)؛ لأنهم عبروا الأردن». ولا يترب على ذلك أن العبرانيين وبني إسرائيل مترادفان هنا، سوى أن العبريَّة هي مصطلحٌ يُمكن تطبيقه على بني اسرائيل - على الرغم من أن الهدف ربما يكون توفير مسبباتٍ أصليَّة للمطالبة بأن الكلمة نشأت من إسرائيل نفسها. وتظهر العلاقة الأكثر تعقيدًا بين العبرانيين وإسرائيل عندما أطلق يونس على نفسه اسم عبرانيّ. وهذا التعيين الذاتيّ، في رأينا، هو دليلٌ على أنه في وقت كتابة يونان עבראי (ستكون الكلمة قد صيغت باللغة الآراميَّة)، كان مقيمًا في المكان المسمى עברא القصير (وهذا أمرٌ طبيعيٌّ في الآراميَّة الغربيَّة عندما يقف الاسم وحده). وعلى الرغم من أن يونس لا يتحدث في الكتاب الآراميَّة، ولكن ما نسميه بالعبريَّة؛ فإن الوضع، المتصور في القصة، يفترض مسبقًا أنه يستخدم لغةً مشتركةً مثل الآراميَّة (كما قد يفعل في نينوى، أيضًا). وسواءً تم تقديمه رسميًا من قبل الإداريين الفارسيين أو تم تطويره كاختصارٍ مناسب مِن قِبل السكان؛ فإن مصطلح עבראי (بالعبريَّة: עברי) لم يكن ليكون متعلقًا باليهود أو بني إسرائيل؛ بل كان سينطبق على سكان المرزبانيَّة بأكمله.

وماذا عن العلاقة بين اليهوديّ والعبريَّة؟ بقدر ما تعني كلمة «يهوديّ»؛ فإننا نستنتج أن هؤلاء، مثل بني اسرائيل (السامريين)، يعتبرون أنفسهم، أيضًا، جزءًا من مجتمع «عبر النهر»، وترمز شخصيَّة عابر إلى هذا الولاء، وكذلك مكانه في سلالة أسلاف إبراهيم، الذي يُوصف، أيضًا، بأنه عبريٌّ. عاشت عائلة إبراهيم المباشرة، التي تزوج منها أبناؤه وأحفاده، في جزءٍ من آرام على ضفاف نهر الفرات، في حين أن نسله، الذين قُطعت لهم الوعود الإلهيَّة بالأرض، يُغطون معظم ما تبقى من «عبر النهر» - الاستثناء الرئيس هو الفلسطينيون، الذين يُمثلون المتحدثين باللغة اليونانيَّة)[28]. وهكذا، فإن موآب وعمون وأدوم والإسماعيليين هم جميعًا أعضاء في السلالة الإبراهيميَّة، وجميعهم من العبرانيين. وتُظهر المعادلات التوراتيَّة بين الأرض التابعة لبني إسرائيل والمنطقة «عبر النهر» من ناحية أن المنطقة يتم «إبراهيميتها» ولكن، أيضًا، على هذا النحو يُمكن المُطالبة بها كجزءٍ من «إسرائيل الكبرى» - وهو ادعاءٌ ينعكس في إمبراطوريَّة داود وسليمان الأسطوريَّة. قد ينعكس، هذا الادعاء، في شيءٍ تأريخيٍّ ملموسٍ - انتشار عبادة يهوه خلال فترة الهيكل الثاني، خارج حدود يهوذا والسامرة في

28 راجع: إسرائيل فينكلستاين، «الفلسطينيون في الكتاب المقدس: منظور ملكيّ متأخر»، Israel Finkelstein, ‘The Philistines in the Bible: A Late-Monarchic Perspective’, *JSOT* 27 (2002), 131–167.

المنطقة الناطقة باللغة الآراميَّة غرب نهر الفرات. وفي سفر عزرا (الأصحاح 7، الآيتان 25-26)، صيغت اللجنة الملكيَّة على النحو الآتي:

أما أنت يا عزرا، فحسب حكمة إلهك التي بيدك؛ ضع حُكامًا وقُضاةً يقضون لجميع الشعب الذي في عبر النهر من جميع من يعرف شرائع إلهك. والذين لا يعرفون؛ فعلموهم. وكل من لا يعمل شريعة إلهك وشريعة الملك؛ فليُقض عليه عاجلًا، إما بالموت أو بالنفي أو بغرامة المال أو بالحبس.

لا يجب أن يؤخذ تطبيق القانون اليهوديّ على كامل المرزبانيَّة على أنه يعكس سياسة أو واقع القرن الخامس الإخمينيّ؛ ولكنه، ربما، يُكرس منظور فترةٍ لاحقةٍ عندما كُتبت قصة عزرا وكانت توراة يهوه تُحدد الثقافة الدينيَّة للمنطقة[29]. وحيثما كان ذلك التأريخ؛ قام الحكام الحشمونيون، لا سيما جون هيركانوس John Hyrcanus وألكسندر جانيوس Alexander Jannaeus، بتوسيع نطاق الحكم اليهوديّ على معظم هذه المنطقة. وربما كان هذا التوسع السياسيّ، مدعومًا بتدمير هيركانوس لمعبد جرزيم، هو الذي أمّن اسم اليهوديَّة لعبادة يهوه وأزال عبادة جرزيم إلى مرتبة التبعيَّة. وهكذا، أقامت، أخيرًا، معادلة اليهوديّ مع بني إسرائيل، وبدرجةٍ أقل عقائديَّةٍ، مع العبريَّة أيضًا؛ - المناطق غير المتضمنة في مملكة الحشمونين لم تكن ناطقةً بالآراميَّة[30].

ومن وجهة نظرنا، فمن المحتمل أن علامات رد الفعل الخبيث للاختلاط مع غير اليهود (مثل الموجودة في كتاب اليوبيل) ربما تكون مدفوعةً بما يُسمى بالأزمة الهلنستيَّة في ستينيات القرن الثاني قبل الميلاد، مقارنةً بالتوسع في عدد السكان اليهود الذي تسارع، بشكلٍ كبيرٍ في ظل الحشمونيين الذين، على الرغم من أصول سلالتهم في انتفاضة قوميَّة؛ اتبعوا العديد من اتفاقيات الملكيَّة الهيلينيَّة. ووفقًا لتقدير شوارتز Schwartz، ازداد عدد السكان اليهود في فلسطين بمقدار ضعفين إلى خمسة أضعاف نتيجة لهذا التوسع، وقلل، حتمًا، من طابع الثقافة[31]. لكن هذا موضوعٌ آخر. ولكن، كما جادل مندلز Mendels، فإن فكرة الأراضي اليهوديَّة أصبحت واحدةً من الرموز الرئيسة للقوميَّة اليهوديَّة في ذلك الوقت[32].

وبالتالي، قد يكون التقارب السياسيّ بين اليهوديّ والعبريَّة، تحت حكم الحشمونيين، قد وفر أساسًا للاستخدام اللاحق للغة العبريَّة لتعيينها لغة الكتب المُقدسة اليهوديَّة ولغة اليهود أنفسهم. ولكن كما رأينا،

29 حول تأريخيَّة عزرا المشكوك فيه؛ انظر: بي آر ديفيز، «مشاهد من التأريخ المُبكر لليهوديَّة»، P.R. Davies, 'Scenes from the Early History of Judaism', in D.V. Edelman (ed.), *The Triumph of Elohim* (Kampen 1995), 145–182؛ ليستر ل. غراب، عزرا نحميا، (Lester L. Grabbe, *Ezra-Nehemiah* (London 1998).

30 ينعكس الخلط بين «اليهوديَّة» والأراضي التأريخيَّة لـ «إسرائيل» (السامرة) في سفر يهوذا، والتي تحمل اسم بطلة اسمها «يهوديَّة»، ولكن من المحتمل أن تكون من سبط منسى. ويبدو أن تأريخ القصة وجغرافيتها يُربكان، عن عمدٍ، بين يهوذا وإسرائيل.

31 ويناقش سيث شوارتز، الإمبرياليَّة والمجتمع اليهوديّ، (Seth Schwartz, *Imperialism and Jewish Society* (Princeton 2001), 19–99 شخصيَّة هذه «اليهوديَّة». وفيما يتعلق بالزيادة السكانيَّة؛ انظر: ص41.

32 دورون مندلز، صعود وسقوط القوميَّة اليهوديَّة، (Doron Mendels, *The Rise and Fall of Jewish Nationalism* (New York 1992 [second edition Grand Rapids 1997]), 99.

لم ينعكس هذا الاستخدام في العهد الجديد. ويبقى الحال أن العبريَّة نادرًا ما تُستخدم في المصادر اليهوديَّة، بالعبريَّة أو الآراميَّة، لتسمية يهوديّ: التسمية الذاتيَّة المرجوة كانت «إسرائيل». ومع ذلك، استمر لدى السكان الناطقين باليونانيَّة استخدام الصفة العبريَّة كلغةٍ وجغرافيَّةٍ لا تقتصر على اليهود. وأصبحت العمليَّة، التي أصبح مِن خِلالها مرادفًا لليهوديّ بدلًا من مجرد تضمين اليهود؛ ممكنةً عندما أصبحت اليهوديَّة الملة السائدة في المنطقة. وكان هيرودس العظيم، بعد كل شيءٍ، ملكًا لكل «عبر النهر»، تقريبًا، خارج مقاطعة سُوريَة الرومانيَّة، ولكنه، أيضًا، «ملك اليهود». ومع ذلك، فإن العبريَّة لم تُصبح مرادفةً لليهوديّ حتى وقتٍ لاحقٍ، وبعد ذلك، كما جادلنا، مِن خِلال مجموعة المتحدثين اليونانيين، ومعظمهم مسيحيين. ولا يزال من الممكن استخدام ἰουδαῖοι في الأناجيل للإشارة إلى سُكان القُدس، الذين يشعر التلامذة من الجليل أنهم غرباء بينهم. وحتى بولس، كما أشرنا آنفًا، لا يستخدم كلمة يهوديّ مباشرةً لوصف نفسه؛ لكنه يُفضل المصطلح عبريٌّ أو إسرائيليٌّ، وربما بسبب انتمائه إلى بنيامين (الذي أكده اسمه العبريّ). ولكن هذا ليس لأنه لا يرى نفسه يهوديًّا، ولا لأنه غير راغبٍ في الاعتراف بنسبه. فمن المحتمل أنه لا يشعر بالراحة عندما يُطلِق على نفسه اسم يهوديٍّ بالمعنى الدينيّ الكامل الذي اكتسبه، الآن، في الشتات وفي الإمبراطوريَّة الرومانيَّة، بشكلٍ عام. ومع ذلك، لا يتردد مؤلف سفر أعمال الرسل: يُمكنه وصف بولس بأنه كان يرد على المنبر الرومانيّ (سفر أعمال الرسل، الأصحاح 21، الآيتان 39-40؛ والأصحاح 22، الآيات 1-3)، على النحو الآتي:

«أنا رجلٌ يهوديٌّ طرسوسيّ، من أهل مدينة غير دنيَّةٍ، من كيليكيَّة. وألتمس منك أن تأذن لي أن أكلم الشعب». فلمّا أذن له؛ وقف بولس على الدرج وأشار بيده إلى الشعب، فصار سكوتٌ عظيمٌ. فنادى باللغة العبرانيَّة قائلًا: «أيها الرجال الإخوة والآباء، اسمعوا احتجاجي الآن لديكم». فلمّا سمعوا أنه ينادي لهم باللغة العبرانيَّة؛ أعطوا سكوتًا أحرى. فقال: «أنا رجلٌ يهوديٌّ وُلدتُ في طرسوس كيليكيَّة، ولكن رُبيت في هذه المدينة مُؤدبًا عند رجلي غمالائيل على تحقيق الناموس الأبويّ. وكنتُ غيورًا لله كما أنتم جميعكم اليوم».

وبالنسبة إلى هذا المؤلِف، يُشير مصطلح «يهوديّ» إلى الانتماء الدينيّ وليس إلى مكان الميلاد أو الإقامة، وبما أن اللغة العبريَّة (الآراميَّة) كانت اسم اللغة المستخدمة في القُدس؛ فقد كانت، أيضًا، لغة اليهود. قارن هذا مع الاستخدام في سفر يونان، الذي يصف عِرقه بالعبريَّة، ولكن دينه على أنه عبادة «يهوه إله السماء». وإذا كان يونس سيتم تحديده مع سفر الملوك الثاني، الأصحاح 14، الآية 25؛ فهو بطبيعة الحال ليس يهوديًا؛ بل إسرائيليًا[33]. لم تكن «عبرانيته» مسألة دين؛ بل مسألة لغةٍ وجغرافيا.

وختامًا: نقترح أن كلمة عبريَّة نشأت كاسم مختصرٍ لشخصٍ من «ما وراء النهر» أو «عبر الفرات»، فـ «عبر» - في الآراميَّة עבראי. ونشأ الطابع العرقيّ والجغرافيّ، لهذه المنطقة، خلال فترة الهيكل الثاني وانعكس

33 في سفر أستير، الأصحاح 1، الآية 1، حيث يوصف مردخاي بأنه فردٌ من سبط بنيامين ولكنه، أيضًا، يهوديٌّ، فإن المعنى لا يُشير إلى دينه؛ بل إلى جنسيته، فبنيامين هو أحد القبائل التي تتألف من سكان مملكة يهوذا السابقة. وبالمثل، فإن طوبيا من سبط نفتالي وعبد الرب، لكن لم يُوصف بأنه يهوديٌّ. ويُشير سفر يهوذا، الأصحاح 4، الآية 1، أيضًا، إلى «بني اسرائيل المقيمين في يهوذا». وتُشير الدلائل على انتمائها القبليّ (الأصحا8، الآيات 1-3؛ والأصحاح 16، الآيتان 23-24) إلى أنها كانت، على الرغم من اسمها، من سبط منسى.

سكان الساميون في خلق إبراهيم كعبرانيّ (سفر التكوين، الأصحاح 14، الآية 13) وأرضه الموعودة، الموصوفة في سفر التكوين، الأصحاح 15، على أنها الأرض المرزبانيَّة بأكملها. إن انتشار عبادة يهوه، والتي في سفر التكوين، بعيدةٌ كل البعد عن أن تكون شيئًا مثل اليهوديَّة، ولكن، ببساطةٍ، عبادة الرب؛ تم التعبير عنها سياسيًا من خلال الفتوحات الحشمونيَّة عندما بدأ يهودا في إعطاء اسمه لتلك العبادة. بينما كان المتحدثون الساميون يُدركون أن العبريَّة واليهوديَّة ليستا مترادفين (بدلًا من ذلك، كانتا متشاركين إلى حدٍ كبيرٍ)؛ فإن المتحدثين اليونانيين، وخاصة المسيحيين الذين كانت اليهوديَّة ذات أهميَّةٍ خاصةٍ بالنسبة لهم؛ قد ساووا بين اليهود والعبرانيين، واللغة اليهوديَّة مع العبريَّة. وفي وقتٍ ما بعد ذلك، تم اعتماد المصطلح العبريّ مِن قِبل اللغة التي نعرفها، الآن، بهذا الاسم ومن أجلها. وعلى الرغم من التظليل لهذا التغيير في مشنا؛ فإن المثالين على الاستخدام المعاكس في الجمارا؛ يجعل من الصعب للغايّة تحديد وقت حدوث ذلك. وفي القرن التاسع عشر الميلاديّ، فحسب، ظهرت اللغة العبريَّة على أنها معادلةٌ لكلمة «يهوديّ» في اللغة العبريَّة وذلك في أعمال هييم نحمان بياليك Hayyim Nahman Bialik ويهودا ليب غوردون Yehuda Leib Gordon. وعلى حد تعبير اليعازر بن يهودا ـ عندما حاصر آذان الشباب في القُدس وهو يُعظهم، واحدا تلو الآخر، «عبريَّة»؛ أي تتكلم «العبريَّة!»، עברית דבר עברי. وربما كان الرجال الثلاثة يستخدمون الكلمة التوراتيَّة بالمعنى الذي عرفوه بها في أوروبا.

قائمة المصادر والمراجع:

1. P.R. **Davies**, 'Scenes from the Early History of Judaism', in D.V. Edelman (ed.), *The Triumph of Elohim* (Kampen 1995), 145–182
2. "___", *The Origins of Biblical Israel* (London 2007).
3. Israel **Finkelstein**, *The Archaeology of the Israelite Settlement* (Jerusalem 1988).
4. "___", 'The Philistines in the Bible: A Late-Monarchic Perspective', *JSOT* 27 (2002), 131–167
5. Norman K. **Gottwald**, *The Tribes of Yahweh: A Sociology of the Religion of Liberated Israel, 1250-1050 B.C.E.* (Maryknoll, N.Y. 1979), 423
6. Lester L. **Grabbe**, *Ezra-Nehemiah* (London 1998).
7. Doron **Mendels**, *The Rise and Fall of Jewish Nationalism* (New York 1992 [second edition Grand Rapids 1997]), 99
8. Seth **Schwartz**, *Imperialism and Jewish Society* (Princeton 2001), 19–99

Mominoun
MominounWithoutBorders
@ Mominoun_sm

info@mominoun.com
www.mominoun.com

